الفصل الرابع

أهم المدن التاريخية والمواقع الأثرية

تمهيد:

في تاريخ اليمن القديم كانت يافع تشكل جزءً من دولة قتبان أولاً، والتي نشأت في وادي بيحان، مابين القرن التاسع والسادس قبل الميلاد، ثم جزءً من دولة أوسان التي تلتها وكانت عاصمتها "مسورة" وماتزال هناك قرى بهذا الاسم الأخير، متاخمة لمديرية الحد التي تنتشر بها عدة أماكن تسمى "خربة" وهي أماكن لم تعرف تاريخياً كمواقع أثرية خلفها الأقدمون، كما أن المؤرخين التقليديين يجهلونها لأنهم يعتمدون فقط على ماذكرته كتب التاريخ القديمة، ولا يجهد علماء الآثار أنفسهم في البحث عن آثار في مواقع لم تشر إليها أقلام المؤرخين بدليل وجود هذه الآثار التي تم اكتشافها في "خربة هديم وديم" في مديرية الحد باستثناء فرقة فرنسية قدمت بعد الاستقلال مباشرة إلى المديرية، والذي اتضح فيما بعد أنها فرقة لم تأت لأهداف علمية وإنما جاءت لأهداف تجسسية حسب زعم السلطة، طردت حينها، وما تزال المنطقة بحاجة إلى مسح جغرافي لمعرفة آثارها المطمورة بين هذه الخرائب التي تعرضت لحفر المواطنين المجاورين لها من قرى الشمال والجنوب، بغرض الاستفادة من أحجارها للبناء وتحت

هذه الذريعة تعرضت بعض الآثار للسرقة، على يد عناصر كان يرسلها أحد رجال آل حميقان الذي كان يشتريها منهم بثمن بخس ويتاجر بها في شمال الوطن بمبالغ ضخمة.

وفي يافع الكثير من المعالم الأثرية الظاهرة من حصون ومساجد وقلاع وأضرحة ونقوش ومخطوطات حميرية بالخط المسند إلى جانب السدود (الكرفانات القديمة) والتي تستخدم لخزن مياه الأمطار، كما توجد الآلاف من المدافن (مخازن الحبوب). وتزخر يافع بالكثير من المواقع الأثرية المطمورة بما فيها الكتابات الحميرية على الصخور الجبلية إلى جانب لوحات نحتت من حجر البلق وهياكل حيوانات مصنوعة من البرونز بحوزة أشخاص لم يعرف مصيرها حتى الآن.كل هذا يدل على أن يافع سكنها الحميريون في بداية عهدهم وما تم العثور عليه اليوم في يافع من كتابات قديمة بالخط المسند إلا دليل قاطع على أن يافع المسكن القديم للحميريين.

وتزخر يافع بالعديد من المدن التاريخية والسياحية والمواقع الأثرية التي لم يتم التنقيب فيها لكي يكشف لنا عن ما تختزنه من كنوز حضارية تعود إلى ما قبل التاريخ ولم يظهر منها حتى الآن إلا النذر اليسير، وسنستعرض في هذا الفصل أهم مدن يافع القديمة حتى نهاية الستينيات من القرن العشرين أما بعد هذه الفترة فقد تغيرت الأمور والأوضاع وتوسعت المنطقة بالعمران وبناء المدن والأسواق الحديثة واختلطت الناس ببعضها وتعددت المدن وتطورت الحياة بعد القضاء على الحكم القبلي وإنهاء الفتن

والحروب واستتباب الأمن والاستقرار وسيادة النظام والقانون بعد نيل الاستقلال الوطني وجلاء المستعمر البريطاني عن الجنوب في ٣٠نوفمبر ١٩٦٧م، وسنتناول ذلك وفق التقسيم التالي:

- **المبحث الأول:** أهم مدن يافع العليا.
- **المبحث الثاني:** أهم مدن يافع السفلى.
- **المبحث الثالث:** المواقع الأثرية.

المبحث الأول

أهم مدن يافع العليا

تمهيد:

إن البحث العلمي في تاريخ الجماعات المحلية والثقافات الشعبية هو اليوم من أهم فروع العلم الإنساني المعاصر، وإنه لمن المؤسف حقاً أن يأتي الآخرون من أطراف الأرض ليدرسوا التاريخ والعادات والتقاليد وأسرار حياتنا الثقافية دون أن يثيرنا هذا الأمر، فخلال العشرين سنة المنصرمة زارت يافع أكثر من عشر فرق بحثية أجنبية من تخصصات مختلفة: فرنسية لدراسة اللهجة اليافعية، وبريطانية لدراسة نمط الفن المعماري، وأمريكية لدراسة الشعر الشعبي اليافعي، وهناك من يدرس الآثار والنقوش والتاريخ. أليس في ذلك ما يؤكد على الأهمية الخاصة التي تتمتع بها هذه المنطقة الغنية بالكنوز الثقافية والدلالات التاريخية والموروث الشعبي الذي يعد رافداً خصباً من روافد التراث الوطني.

لقد علق أحد الأساتذة السوريين وهو الدكتور أحمد نسيم البرقاوي أثناء قيامه وعدد من زملائه من جامعتي عدن ودمشق بزيارة يافع معبراً عن دهشته لما شاهده من مناظر ومشاهد مثيرة لأنماط الحياة اليافعية بقوله: "يافع هي درة اليمن المنسية" وإذا

كان هذا القول صحيحاً وهو فعلاً كذلك فمن الأولى بنا ألّا نطيل الصمت على يافع وأن نبدأ العمل على إثارة اهتمام الباحثين والمهتمين من خلال تسليط المزيد من الضوء على هذه الواحة الثقافية الوارفة الظلال[١].

وسنتناول ذلك كالتالي:

- **المطلب الأول**: مدينة بني بكر.
- **المطلب الثاني**: مدينة الهجر.
- **المطلب الثالث**: مدينة خلاقة.
- **المطلب الرابع**: المحجبة وخيلة.

(١) قاسم عابد اليافعي - الثقافية مرجع سابق.

○ المطلب الأول ○

مدينة بني بكر

وتسمى (بنيبك) وكانت أكبر مدينة في يافع العليا من حيث عدد السكان الذين يبلغون ثمانية آلاف نسمة آنذاك، وقد أحصي عدد مقاتليها سنة ١٩٥٧م بثمانمائة مقاتل، وتقع على سهل جبلي مسطح تتخلله الأودية الصغيرة التي يزرع فيها القات والذرة والفاكهة،وتقع في منطقة الحد وتتبع قبلياً مكتب الضُبي وإدارياً مديرية الحد، وكان فيها القضاة آل عز الدين.

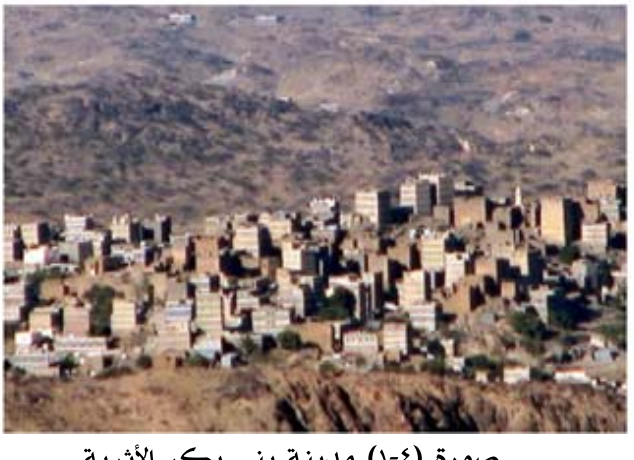

صورة (٤-١) مدينة بني بكر الأثرية

صورة (٤-٢) نقوش بالخط المسند في حجر فوق باب مسجد بني بكر التاريخي

○ المطلب الثاني ○

مدينة الهجر

وتسمى هجر لبعوس نسبة إلى قبائل لبعوس في يافع العليا، وهي من أحدث مدن يافع من حيث العمارة والنشاط التجاري، والهجر باللهجة الحميرية تعني الحصون الملتفة أو سور يجمع قصوراً، أو المدينة التي يحيطها سور، و"هجر يافع حسب ما ذكرها الهمداني"[(١)]، وما يسمى بـ(البابين) - وهي الساحة التي تقام فيها المهرجانات والاحتفالات حالياً في عيد الأضحى- أحد الشواهد من أن الهجر كانت تحاط بسور ولها بابان في هذا الموقع، ولا تزال بعض القصور والحصون الكبيرة والقديمة التي تعود إلى ما قبل خمسمائة عام قائمة وشاهد حي، وتشير بعض الوثائق والمخطوطات إلى ذكر الحصون مثل حصن الهجر[(٢)]، كما يوجد في الهجر أكبر جامع أثري يعود تاريخه إلى القرن العاشر الهجري، قام بتشييده الشيخ عبد الله بن أحمد الضباعي رحمه الله، ويسمى جامع الهجر ويعد أبرز معالمها، وكذا مسجد الجيلاني مسجد قديم، وتشير الآثار والمعلومات إلى وجود أسواق في أطراف هذه المدينة عرفت بأسماء الأسبوع ومنها سوق

(١) الإكليل للهمداني، مج٢، ص-١٥٩-٢٤٠-٢٥٧، وزارة الثقافة والسياحة، ٢٠٠٤م.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٥) في باب الوثائق.

الخميس، وكان يقع فوق نقد العرمة مقابل العقري "ملم" آل ذيحور، وسوق السبت باتجاه منطقة الحصأة خلف بئر أحمد.

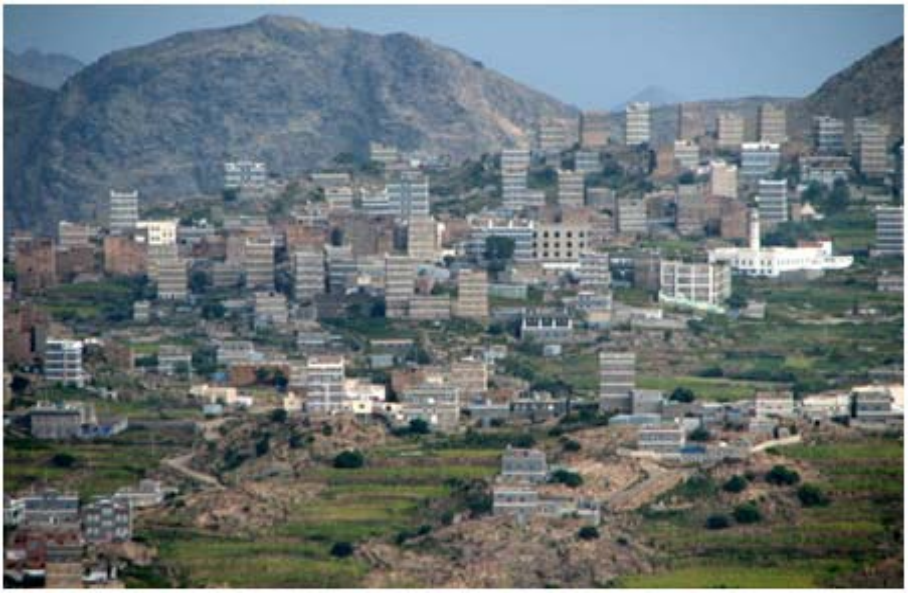

صورة لمدينة الهجر

○ المطلب الثالث ○

مدينة خلاقة

تقع في منطقة الحد من قبائل الموسطة في يافع العليا، وكانت تعتبر قديما ثاني مدينة بعد بني بكر، وقد أحصي عدد سكانها بستة آلاف وخمسمائة نسمة، وعدد مقاتليها بخمسمائة وخمسين في ١٩٥٧م حين قامت الحرب بين سكانها وسكان بني بكر، وفي الوقت الحاضر تتبع إداريا مديرية الحد.

صورة (٤-٤) مدينة خلاقة - الحد

○ المطلب الرابع ○

المحجبة وخيلة

١- المحجبة:

كانت في الماضي حاضرة يافع العليا ومعقل (آل هرهرة) سلاطين يافع بني مالك (يافع العليا).

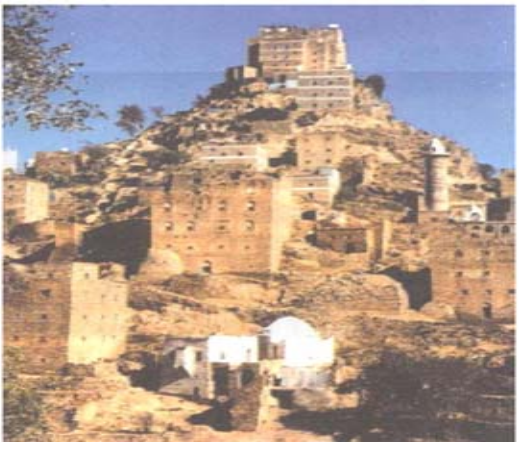

صورة (٤-٥) صورة قديمة للمحجبة معقل سلاطين يافع العليا آل هرهرة ويشاهد في أعلى القمة حصون السلاطين الأثرية في جبل الريع أو كما يسميها البعض بالنوبة

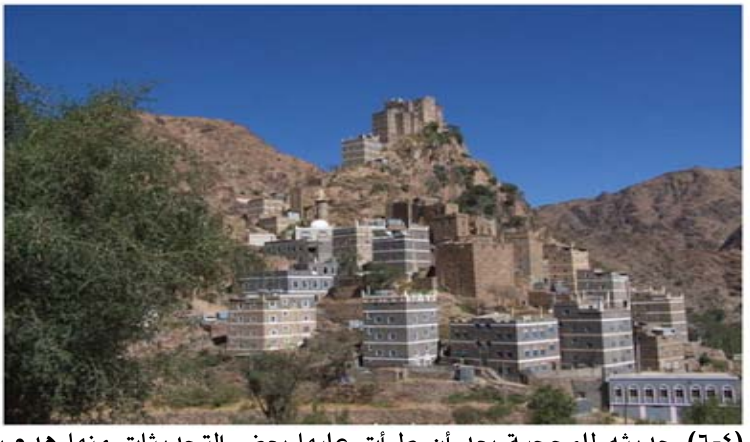

صورة (٤-٦) حديثه للمحجبة بعد أن طرأت عليها بعض التحديثات منها هدم بيوت أثرية قديمة وإحلال بيوت حديثة محلها كما توضح الصورة

٢- خيلة:

تقع في منطقة الحد من يافع العليا، وتعتبر مدينة مقدسة حرم فيها القتال[١] .

٣- قلعة حلين:

تقع في منطقة الحد فوق مرتفع جبل حلين بجانب جبل العر من الشرق، وكانت معقل السلطان صالح بن عمر هرهرة، ومن بعده ابنه السلطان محمد بن صالح آخر سلاطين يافع العليا، وتعد قلعة تاريخية من حيث القصور والمباني التي كانت تقع على قمة حلين، فيها قصران كبيران باتجاه الزاهر كسكن للأسرة ومحاطة بسور داخلي، إضافة إلى مباني باتجاه جبل العرّ، منها مبنى ضخم كان يسمى المحكم أو المحكمة، وبعض البيوت السكنية للعسكر وأفراد الحاشية التابعة للسلطان ومحل تجاري ومخازن، وكان يتوسط هذه المباني والمباني الخاصة بالسلطان وأسرته مجموعة صهاريج (خزانات مياه) تربطها شبكة قنوات أرضيه، وكانت تمد المباني بالمياه بواسطة مضخات وشبكة أنابيب، إضافة إلى وجود مدرج أو مهبط للطيران محاط بسور من الداخل، وكانت تحاط القلة بشكل عام بسور من الخارج وله بوابة ضخمة، وتنتشر في زوايا السور وجوانبه اثنا عشر برجاً للحراسة إلّا أنه ومع الأسف الشديد تم نسف كافة هذه المنشآت وتسويتها بالأرض من قبل القيادة المحلية للجبهة القومية بعد مغادرة السلطان.

---

(١) تاريخ القبائل اليمنية، حمزة لقمان، ص١٨٢-١٨٣، مرجع سابق.

صورة (٤-٧) التقطت من الجو لقلعة حلين - تبين القصور وأبراج المراقبة وخزانات المياه ومدرج الطيران (من أرشيف الجيش البريطاني) (كتاب جبهة الإصلاح اليافعية)

المبحث الثاني

أهم مدن يافع السفلى

في يافع اكتشفنا أننا صحافة مركزية تكرس تناولاتها الصحافية على العاصمة والمدن الرئيسية ولا نهتم بقضايا الناس في الريف... حيث شاهدنا في يافع ما لم نره ولم نسمعه من قبل، شاهدنا قرى ومساكن هي أشبه في طريقة بنائها وارتفاع طوابقها التي تتراوح معظمها ما بين (١-١١) طابقاً بناطحات السحاب المعاصرة، لكنه يعود تاريخها إلى ما قبل خمسمائة سنة وأكثر، البيوت معلقة في قمم الجبال ومتناثرة على ضفتيها. تلك المنطقة التي ما تزال متمسكة بشكلها وحياتها الحميرية القديمة، يدرك المشاهد مدى تعلق أبناء يافع بانتمائهم، ويتجسد هذا من خلال ما تجده في طريقك وأنت تتنقل بين مناطق يافع، إن ما شاهدناه في طريقنا من حصون وقلاع ليس إلا مثالاً بسيطاً على ما تختزنه، فلا تمر بجوار ربوة أو تبة على جانبي الطريق إلا وبني عليها حصن، والملفت أكثر في تلك الحصون والقصور القديمة - فضلا عن تاريخها القديم والحقبة الزمنية التي بنيت فيها وظروف بنائها- أسماؤها، فلأسمائها حكمة وإثارة للانتباه، ففي طريقنا وجدنا قصرين عمرهما يزيد عن خمسة قرون، وقد بنيا على تبة في السائلة وأطلق عليهما الشابح والمشبح!! قالوا: لأنهما شبحا الوادي وشبح أي معتدي، ثم حصن (المجبأ) والذي يعود إلى ما

قبل٣٧٥سنة» تقريباً، ويقال إنه كان في الماضي منفذاً جمركياً، وهو عبارة عن بناء مربع يشبه في شكله بناء البرج، وارتفاعه يصل إلى نحو ٣٠ متراً، لكن المثير فيه حالة ميلانه والذي جعله شبيه بميلان برج بيزا في إيطاليا، بل إن السكان يتناقلون عن أبائهم وأجدادهم أن هذا الميلان مضي عليه أكثر من١٨٠سنة. وفي سائلة تلب تقابلك ستة قصور قديمة تتراوح عدد طوابقها ما بين تسعة إلى عشرة طوابق بنيت بالنمط المعماري اليافعي في عرض الجبل، وتشكل صفين متوازيين تم بناؤها على فترات متفاوتة قبل أكثر من ثلاثة قرون شكلت في مجملها مقطوعة أو معزوفة موسيقية، وخاصة في أسمائها التي أطلق على كل واحد منها، حيث سميت على هذا النحو: الزاهي، والباهي، والناهي، وإذا ما تساءل المرء عن مدلولات ذلك لوجدها في معانيها، فأسماء الثلاثة الأولى الزاهي: زاهي في المكان، والباهي منور ومضيء الوادي أو سائلة تلب، والناهي فهو الآمر والناهي في المكان، وأما الآخرين فقد ارتبطت تسميتهما بصاحبيهما[١].

وسنتناول ذلك كتالي:

- المطلب الأول: مدينة خنفر جعار .
- المطلب الثاني قلعة القارة.

(١) منصور الغدره-٢٦سبتمبر العدد ١٤٢٤ -الخميس ١٣ نوفمبر-تشرين الثاني ٢٠٠٨م.

○ المطلب الأول ○

مدينة خنفر (جعار)

اشتهرت خنفر في التاريخ، وهذا الاسم نسبة إلى من يسمى خنفر أحد أولاد سبأ الأصغر، وكانت المدينة تقع على سفح جبل خنفر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٠متراً عن سطح البحر ويقع وسط سهل أبين بين وادي بنا وحسان، وفي عصر دولة حمير كانت قمة خنفر محطة عسكرية قوية تشرف على مساحات شاسعة، وفي العصور الوسطى وجدت مدينة عند سفح خنفر وكانت الحرائق قد هدمتها أثناء الحروب التي استعرت للسيطرة على منطقة أبين في القرن السادس عشر الميلادي.

ومن أهل خنفر رجل اشتهر بنشر الدعوة الشيعية الفاطمية في اليمن وغزا كثيراً من أنحاء اليمن واحتل صنعاء وهو علي بن الفضل الجدني الخنفري، وقد غزا لحج وعدن أيام إن كانتا تحت حكم بن أبي العلاء، ودارت معركة حول خنفر انتصر فيها علي بن الفضل وغنم أموالاً كثيرة. ولما ارتفع ذكره وزادت ثروته من غزواته أعلن استقلال اليمن عن حكم بني العباس وبني أمية.

أما اليوم فإننا نجد في مكان خنفر مدينة جعار العاصمة الإدارية لمنطقة يافع السفلى ومركز النشاط التجاري والزراعي[١]. ومن مدنها أيضاً الحصن وباتيس والمخزن في يافع الساحل.

---

(١) تاريخ القبائل اليمنية، حمزة لقمان، ص١٨١-١٨٣، مرجع سابق.

○ المطلب الثاني ○

قلعة القارة

تقع القارة في مديرية رصد، وتتمتع بمقومات سياحية هائلة، لكنها تفتقر إلى طريق إسفلت يربطها بعاصمة المحافظة واليمن، ويخرجها من عزلتها فالطريق يعتبر عائقاً أمام الكشف عن خباياها وأسرارها وجمال طبيعتها الخلابة التي أبدعتها يد الخالق سبحانه وتعالى، وتظهر للعالم ما تزخر به وتكتنزه من معالم أثرية فريدة تتميز عن غيرها من المعالم، فهي تمتلك شواهد حية تعبر عن تاريخها الضارب بجذوره في أعماق التاريخ القديم ابتداءً بالمسكن الأول للحميريين.

وتعاقب على حكمها الكثير من الولاة والزعماء والسلاطين، وتتعرض اليوم بين الحين والآخر للنهب والتدمير والتفجير والتكسير لأحجارها الشهيرة بالرخام على أياد عابثة قصدها ربح الأموال على حساب مقدرات الأمة، فهل من مجيب لإنقاذها و الدفاع عنها وحمايتها من أيادي العابثين وعوامل الزمن ويعيد لها اعتبارها ورونقها؟!!!.

صورة (٤-٨) قلعة القارة

المبحث الثالث

الآثار الحضارية

مديرية الحد هي المنطقة التي تحتوي معظم المواقع الأثرية التي يدور حولها التنقيب عن الآثار، وهي مواقع جديدة لم يجرِ التنقيب عنها أو دراستها من قبل، إضافة إلى العديد من المواقع الأثرية والتاريخية الأخرى المنتشرة في عموم يافع، وسنتناول بعض الانطباعات لعدد من الباحثين عن بعض هذه المواقع الأثرية حسب التقسيم التالي:

- **المطلب الأول**: المواقع الأثرية في يافع العليا.
- **المطلب الثاني**: المواقع الأثرية في يافع السفلى.

○ المطلب الأول ○

المواقع الأثرية في يافع العليا

أولاً: موقع خربة هديم وديم (قطنان):

يقع هذا الموقع في مديرية الحد يافع وهو عبارة عن مدخل رئيسي للمدينة وتوجد به العديد من القطع الأثرية التي يعود تاريخها إلى زمن الدولة القتبانية في القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، كما أن هناك عدد كبير من المعالم الأثرية والتاريخية_ويعتبر هذا الموقع مستوطنة سكنية وقد استمد اسمه من وادي "هديم" أحد الأودية المحيطة بالموقع.

تحيط بالموقع تحصينات طبيعية جبلية محكمة: جبل صبر غرباً، وشعب السوق وهديم شرقاً، وحيد العين جنوباً، وحيد الرام شمالاً. وتتوج التحصينات الطبيعية حصون أو قلاع صغيرة قديمة كانت تستخدم على ما يبدو مواقع دفاعية، وتحيط بالموقع الأثري من جهات مختلفة الأودية التالية: هديم شرقاً، والخبجة جنوباً، وقطنان غرباً، وبطير شمالاً، كما يقع شرقاً عازل أو مانع مائي قديم قدم الموقع الأثري أقيم لتغيير اتجاه السيول حماية لهذه المستوطنة أو القصر، يحيط بهذا القصر الواسع نسبياً سور لازالت أحجاره باقية، وخاصة الأحجار الضخمة التي استعصت على القريب الغريب، كما أن أحجار مداخل البوابات أو ربما السلالم

المؤدية إلى القصر واضحة المعالم، إن هذا الموقع يبدو هاماً خاصة إذا وضعنا بالاعتبار موقعه الاستراتيجي المحصن وضخامة أحجاره ونوعية القطع الأثرية المأخوذة منه، وهو مبني من الحجارة المصقولة ويبدو من خلال ملاحظة الطبقات الطينية أنه قد تعرض للحريق، وتنتشر على طول وعرض الموقع قطع الفخار والرخام والعظام، ويضاف إلى ذلك أن عدداً من التحف والقطع الأثرية تختزن في إدارة السلطة المحلية بمركز "بني بكر" وأهمها: رأس التمثال الرخامي، وقد جمعت من هذا الموقع بالذات.

وتقع خربة هديم وديم على تبة جبلية بعيدة من قرية "قطنان" المتاخمة حدود "مسورة" عاصمة مملكة أوسان القديمة، ومساحة التبة أقل من كيلومتر طولاً وأقل من ٢٠٠متر عرضاً. وهناك احتمال أن هذه التبة قد شهدت حياتين متباينتين في الزمان بدليل وجود آثار متناقضة زمنياً، إذ نجد في بطن التبة جدران بناء مغروسة بين التراب ظهرت بعد حفر المواطنين لها وتشبه في أحجارها وطريقة بنائها منازل المنطقة كلها، وبين التراب نجد نتفاً فحمية هشة بعد تعرض خشب قوس "السقف" لحريق، وكِسر خزفية ونقود يرجع تاريخها إلى عصر بني رسول السلطان الملكي "شمس الدين بن يوسف"، كما نجد أيضاً كلما اتجهنا بانحدار التبة أشلاء أحجار رخامية وكِسَراً من الأحجار المنحوتة، وكلما تعمق الحفر نجد في "الخربة" بقايا أحجار عليها خط مسند وأحجار مربعة منحوتة بدقة فائقة،كانت هذه الأحجار هي هدف مواطني القرى المجاورة شمالاً وجنوباً لغرض البناء ومنها تسربت

بعض الآثار وتم بيعها في الشمال.

ولا يستبعد أن التبة قد شهدت معبداً وقصراً من قصور "الأذواء" ماقبل الميلاد فأصيبت بزلزال أو كارثة ما، ولا يستبعد أن جزء منها كان "جبَّانة" لدفن الأعيان فيها ما يدعم الاحتمال الأول.

وأثناء تجوالنا بقرية "قطنان" شاهدنا بيوتاً كبيرة مبنية بأحجار مربعة منحوتة أخذت من تلك الخربة، ووجدنا أحد المنازل مكون من دور أرضي، ثلثه الأسفل مبني بأحجار مربعة منحوتة وناعمة، ولم يغير فيها شيء، وكذلك ثلث البيت الأعلى، وبين تلك الأحجار ثلاثة أحجار، في مواجهة الداخل إلى البيت، مكتوبة بخط مسند واضح، وإحدى تلك الأحجار رخامية مربعة ومتساوية الأضلاع وقد تمحى تلك الكتابة بسبب تعرضها للشمس والريح والأمطار. كما يوجد إكليل على باب أحد البيوت من أحجار منحوتة مأخوذة من نفس المكان، لكن أهالي "قطنان" احتفظوا بالأحجار المخطوطة في بيوتهم حرصاً عليها بعد أن عرفوا قيمتها وبعد منع المسؤولين أخذ الأحجار. وكان أبناء القرى المجاورة لهذه الخرائب وبدون وعي منهم يأخذون أحجارا منها لبناء منازلهم لتوفير ما يدفعونه "للنقاش" من جهة ولأنها أحجار مربعة وناعمة تتطابق ومقاييس البناء حالياً وبواسطتهم تم العثور على الآثار.

فذات يوم وبينما كان أحد الشباب يفتش على مثل هذه

الأحجار لغرض البناء واجه أثناء الحفر رأس تمثال رخامي، فصرخ فزعاً "جني... جني" فتجمع أهالي القرية المجاورة "قطنان" على إثر ذلك الصراخ، وبالتعاون مع المواطنين قام المسؤولون بنقل التمثال ثم استأنفوا الحفر، فوجدوا على مقربة من التمثال أحجاراً مخطوطة بخط مسند ونقوداً، وهي محفوظة الآن في المديرية. وتدل أسماء هذه الخرائب، على قدمها التاريخي المرتبط بممالك اليمن القديمة، إذ يقترن اسم كل خربة باسم علم من الأسماء اليمنية القديمة، مثل "خربة هديم وديم" و"خربة ريدان" و"خربة العنس"، و"خربة أم ريدان" وخربة "غسان" وجبل "عوسان" ومعظم الأسماء يمنية قديمة والملفت للنظر أن هذه الخرائب ومفردها خربة تجد فيها ملامح أثرية: إما تماثيل، أو أحجار مخطوطة، أو صخور عليها خط مسند.. الخ.[١]

ثانيا: الخلقة

قرية صغيرة تبعد مسافة الساعة عن مدينة بني بكر، وهي متاخمة لحدود مسورة من البيضاء، وكانت حتى ١٠٠٩هـ مركزاً لدولة "مسمار" التي انتهت إثر حروب طاحنة بينها وبين يافع، وقد لجأ من تبقى من جحافل هذه الدولة إلى مسجد الخلقة وكان أول من هاجم باب المسجد صاحب "حبه" يدعى مديد" استهل المهاجمة بمقولته الشهيرة: "مديد ومده، وسيف ودرقة، يوم

(١) مجموعة من الكتاب، دراسات عن يافع وتاريخها، مرجع سابق، ص١٨١-١٨٢.

الشيطان على ذي بالخلقة" فقرر الأهالي أن يكافئوه على ما أقدم عليه من عمل بطولي وطلبوا منه أن يتمنى عليهم، فكان طلبه متواضعاً لكن له مدلول تاريخي كبير، حيث طلب أن يكون أول "المبترعين" في أي محفل قبلي، وكان له ذلك وأضحت هذه العادة سارية المفعول حتى اليوم وحق من حقوقه المكتسبة حسب العرف القبلي، يتناقلها الخلف من السلف، ومن هنا كان المثل الشائع: "أول برعة لصاحب حبه"، وعلى مقربة من القرية توجد مدافن وآثار مقبرة يعتقد أنها استخدمت لإيواء القتلى،وتحوي القرية ثلاثة مواقع تاريخية هي:

١- المعبد:

تدل نتائج المشاهدة أن القرية تضم إضافة إلى الأبنية المحيطة موقعاً أثرياً يعود إلى ما قبل الإسلام وقد دلت المعاينة الأولية أنه عبارة عن معبد، أو ربما مستوطنة صغيرة، ويتشابه هذا الموقع مع السابق في انتشار أحجاره في جوانب مختلفة منه، بينما لا تتأثر قطع الفخار أو الرخام على سطحه، أما سور هذا المعبد فلا زال قائماً بالكامل في بعض أجزائه، كما أن أحد أبراج السور قائم وبحالة جيدة، وبالرغم من صعوبة تحديد الحقبة التاريخية لهذا الموقع نظراً لعدم توافر النقوش على آثاره إلّا أنه يمكن تجاوز هذه المشكلة بالعودة إلى النقوش التي عثر عليها في هذا الموقع عام ١٩٧٦م ونقلت إلى العاصمة عدن.

صورة (٤-٩) توضح سور المعبد

٢- السدود:

يوجد سدان قديمان يحملان اسم القرية:

أحدهما: مثلث الشكل مبني من أصل الجبل، ومحاط من الأعلى بسور، وهو ذو حجم صغير، ومكسو بالقضاض الأبيض، وما زال الناس يستخدمونه حتى اليوم.

وثانيهما: شبه دائري، بعيد بعض الشيء عن القرية، وهو مهمل قليل الاستعمال، وسوره لا يزال بحالة جيدة.

٣- مسجد الخلقة:

مسجد قديم اختفت سقوفه وأبوابه ونوافذه الخشبية، وبقيت جدرانه وبهو صحنه الداخلي، أما حوض الوضوء وبرك الحمامات فلا زالت بحالة جيدة، والمسجد مبني من الحجارة، وليس واضحاً في أي عصر بني أو من الذي أسسه، وهو محاط بقرية

(المسحر) غرباً، وبجبل (الفرع) من الشمال الشرقي، ولم يبق منه غير الأطلال[١].

صورة (٤-١٠) أطلال مسجد الخلقة

ثالثاً: شرف بن عوسان (شرف بن أوسان) والفردة:

وشرف تعني مرتفعاً يطل على وادي حافة جبل، وعوسان تحوير لاسم أوسان، هكذا يروي محمد حسين الشرفي، وفي القرية خربتان: خربة العنسي، وخربة الريد، وكان للقبيلتين حسبما يقول محمد الشرفي بئر مشترك فمر رجل من قبيلة "العنس" على امرأة من قبيلة "الريد" عند البئر فطلبت منه أن يساعدها على رفع إناء الماء إلى كتفها، ومع رفعه الإناء رفع الرجل أسفل ثوب المرأة إلى كتفها عمداً، ومضت مكشوفة الساق حتى وصلت إلى قبيلتها، ولما استنكرت القبيلة عليها ذلك قالت المرأة: لم أفعل

(١) دراسات عن مديرية يافع وتاريخها، نفس المرجع ص١٧٧-١٧٩.

ولم أدرِ ولكن رجلاً من العنس ساعدني على رفع الإناء عند البئر، وبسبب ذلك قامت حرب بين القبيلتين أدت إلى إهلاكهم أجمعين.

وفي هذه القرية نجد ملامح أثرية كثيرة إذ نجد على القمم صخوراً مسودة وناعمة مرمية على عرض وفوق الجبل، وعلى الصخور كتابات كثيرة بخط مسند دقيق، وهي خطوط قديمة محفورة على الصخر وقد أنمحت تدريجياً بسبب تعرضها للشمس والرياح والأمطار والأتربة، ولا يستبعد وجود آثار أخرى في هذه المنطقة، وبالذات تحت كتلة الصخور التي يحتمل أنها كانت جداراً واحداً فارتمت على ظهرها(١).

قرية الفردة:

قرية في "درقبان" تطل على وادي "تجه" وهو وادي خصب، وغزير المياه الغيلية، وفي هذه القرية تقع خربة "أم ريدان" وفي هذه الخربة كهف منيع يرزح في صدر جبل شاهق يصعب الوصول إليه يسمى "تنور الكفار" و"كهف العفاريت" ويوجد في الكهف ثلاثة تماثيل متحاذية، ولكنها لا تتميز إلا بالكاد، أحد هذه التماثيل لأسد رابض يحرس تمثالين واحد لامرأة وآخر لرجل، وقد اتخذ المواطنون من هذه التماثيل نصعاً (هدفاً للرماية) ليتمرنوا على إطلاق النار، وقد تعرضت التماثيل لطلقات الرصاص، وتبدو منخورة بسبب ذلك. وتوجد بعض الآثار التي تم العثور عليها في

(١) مجموعة من الكتاب مرجع سابق، ص١٨٥-١٨٦.

خربة "هديم وديم" وتعد مجموعة ذات قيمة عالية، يرجع تاريخها إلى عصر الممالك اليمنية القديمة، وبعض النقود التي يرجع تاريخها إلى عصر بني رسول.وهي:

١- رأس من الرخام مرسوم بدقة وعناية متناهيتين وبنسق بديع تكاد شفتاه أن تنطقا، انقطع عن بقية جسده من الكتف الأيسر حتى الصدغ الأيمن، وتهشم جزء من دقنه ومن أنفه، وتعرض لوخزات فؤوس تحت العين اليسرى ويحتمل أن حدقتي عينيه من أحجار كريمة سقطتا بين الركام.

٢- ذراع أيسر من الرخام، ملتصق بالجنب ويحتمل أنه أحد ذراعي التمثال ذاته .

٣- بقايا مبخرة منحوتة من حجر أبيض عليها نقوش بديعة وقد تعرضت بعض أطرافها للكسر .

٤- خمس حجار عليها كتابة بالخط المسند،واحدة بطول ثلاثة أقدام، وبعض حجار مكسرة .

٥- حجرتان منحوتتان بشكل "الثلم" وعلى خلف أحداهما كتابة بالخط المسند .

٦- حجر عريضة عليها نقوش مبهمة، يحتمل أنها بالخط المسند تداخلت وبدت كوجه الرحى .

٧- باب نافذة من حجر وسطها فتحتان تشبهان النوافذ التقليدية في المنطقة، وقد انكسر جزء منها، وكل هذه الآثار، وجدت في خربة "هديم وديم" التي ماتزال بحاجة إلى فرقة

كشف لآثارها ودراسة الأماكن الأثرية الأخرى وأخذ تماثيل الكهف إلى متحف، وضرورة بناء متحف لصيانة وحفظ الآثار، وضرورة شراء الأحجار من المواطنين وصيانتها[١].

صورة (٤-١١) رأس التمثال

صورة (٤-١٢) الخط المسند

(١) مجلة المسار، العدد ٦، يوليو ١٩٨٣م.

صورة (٤-١٣) نماذج أخرى للخط المسند على الأحجار

○ المطلب الثاني ○

المواقع الأثرية في يافع السفلى

١- مواقع في سبّاح وسرار:

تم العثور على كتابات بالخط المسند على صخور جبلية في مديرية سباح وبالتحديد في منطقة العرقة، وفي جبل النمارير وهي الأكثر من حيث تعرضها لأعمال الطمس والتخريب، كما شاهدنا أثناء بحثنا كتابات متناثرة ورسوم لغزلان ونمور في جبل سقم، وكتابات في مكان يطلق عليه "ذراع الكتابات"، كما شاهدنا كتابات من دون أي رسوم في مكان يسمى "ذراع الجيف" في منطقة علتيط الأسفل، ويبدو أنها قد تعرضت لأعمال تكسير وتخريب من قبل الرعيان.

إن تلك الكتابات تحتاج إلى خبراء آثار للقيام بدراسات علمية أثرية جديرة بها لمعرفة خباياها وفك رموزها التاريخية، لهذا ندعو علماء الآثار للتنقيب والبحث والدراسة والحفاظ عليها من عوامل الزمن وأيادي العابثين[١]. وهناك العديد من الآثار المنتشرة في عموم يافع التي لم تجد الرعاية والاهتمام، ومنها على سبيل المثال النقوش الصخرية التي تم اكتشافها في منطقة سرار.

---

(١) قائد زين ثابت، صحيفة الأيام، العدد (٤٨٤٠)، ١٥يوليو ٢٠٠٦م.

انظر الصور.

صورة (٤-١٤) نماذج لنقوش ورسومات على الأحجار

٢- مدينة دخان:

تقع في الاتجاه الجنوبي من مديرية رصد في إطار مكتب كلد قبلياً، وتعتبر واحدة من أقدم المعالم الأثرية في يافع وتزخر بالعديد من مدافن خزن الحبوب المحفورة في الصخر، وبقايا أساسات مبان قديمة وبقايا مبان متلاصقة ببعضها مؤكدة ما بتداوله الناس أنه كان لهذه المدينة سور وبابان رئيسيان، وداخل سور المدينة مسجد قديم مبني بأسلوب هندسي بديع تزين جدرانه بعض الزخارف والعقود الجميلة ويسمى مسجد دخان، وبجوار المدينة من الخارج سد كبير يتسع لكميات كبيرة من مياه الأمطار ويقع في الاتجاه الجنوبي الغربي من المدينة، وهو مبطن بخرسانة النورة، وما يزال صالحا للاستخدام مع إضافة اللمسات التجميلية، وبداخل المدينة مئات المواحس (حفر صغيرة في الصخر الأصم تستخدم لدهس وطحن الحبوب)، بعضها ما تزال ظاهرة والبعض طمرتها الحجارة.

الجدير بالذكر أن هذه المعالم تتعرض بين الحين والآخر للتخريب من قبل أياد عابثة تحت مسمى البحث عن كنوز، وما تعرضت له هذه المدينة من طمس وتخريب يعد كارثة وخطراً يهدد باقي المعالم الأثرية الأخرى في القارة وجبل آل سالم، ولهذا نود لفت النظر بالاهتمام بهذه المعالم من قبل جهات الاختصاص والعمل على ترميمها وحمايتها[١].

(١) قائد زيد ثابت، صحيفة الأيام، العدد (٥٠٧٧)، ٢٦/ ٤/ ٢٠٠٧م.

صورة (٤-١٥) توضح أثار بقايا مسجد مدينة دخان الأثرية

٣- أهل الكهف:

اختلفت المصادر عن وجود أهل الكهف في موقع محدد، فهناك دعاوى عن وجودهم في مواقع عدة، وهناك دعوى عن وجود الكهف في مكتب السعدي من مكاتب يافع بني قاسد، ويسمى كهف سنم، ويقع هذا الكهف في الجانب الجنوبي لجبل سنم تقابله قرية المصنعة المعروفة بقبيلة بن سعيد الرأس، ويقف إلى الجنوب منه جبل جار ويفصل بينهما واد ضيق يعرف بوادي الرفد، الذي ينحدر شرقا إلى وادي الخضراء، فوادي سلب المذكور في صفة جزيرة العرب، ويطرح المحقق والباحث فضل الجثام مفارقات عديدة في دراسة عميقة ونزول ميداني استخلص فيها أن يكون هذا الكهف على الأرجح هو الأكثر صحة من كهف الأردن وتركيا وعمان وصبر وغيرها من الكهوف التي لا تنطبق

عليها نصوص القرآن وما ورد عن الإخباريين بهذا الشأن، وسألخص بعض ما ورد كالأتي:

الكهف عبارة عن شدق طبيعي ليس بالمقارة المظلمة ويتسع لإيواء السبعة الفارين من الملك دقيانوس وهو كالفم المفتوحة نحو الجنوب الغربي حيث يتسم في وضعه مع قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٧] فهذا دليل على أن باب الكهف كان من نحو الشمال وأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ذات اليمين أي تميل ويتقلص الفيء وكلما ارتفعت في الأفق ينقص شعاعها بارتفاعها حتى لايبقى منه شيء عند النزول في مثل ذلك المكان قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] أي تدخل غارهم من شمال بابه وهم من ناحية الشرق يدل على صحة ما قلناه. قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف: ٢١]، وهناك مسجد يعرف لدى الأهالي بمسجد السبعة الذي يبعد ٥٠ متراً وسقفه مقبب، ويتكون من تسع قباب والقبور السبعة خارج المسجد.

ادعى بعض الإخباريين رومانيتهم لما ورد في أسماء المواقع حول الكهف وأسامي الفتية والملك آنذاك تكاد بعيدة عن اللغة، ولبعد الموقع وصعوبة طرقه لم يكلفهم البحث والكشف عن مدلولاته غير إن اللغة التي جاءت بها هذه الأخبار حميرية ١٠٠٪، دقيانوس الملك الذي في عهده حدثت القصة ولازالت ذكرى ذلك الملك حية في الأذهان ولها رنينها من خلال المعاملات والتي

ترجع كل قديم إلى عهد دقيانوس ودقة يانوس قريبه من الكهف[١] والله اعلم.

صورة (٤-١٦) توضح الكهف من الداخل

صورة (٤-١٧) توضح المسجد

(١) فضل عبد الله الجثام- الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى، سبر في التاريخ القديم- منشورات دار علا الدين دمشق-ط١-١٩٩٩م ص٢٤١-٢٦٠